

تفسير البحر المحيط

@ 413 @ بينهم وبين شأنهم عند زلزلهم انتهى . وفيه دسيسة الاعتزال . .

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَدَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ * وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَدَاءًا لَلْيَضَلَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ } : لم ذكر حال المؤمنين وهداهم ، وحال الكافرين وإضلالهم ، ذكر السبب في إضلالهم . والذين بدلوا ظاهره أنه عام في جميع المشركين قاله الحسن ، بدلوا بنعمة الإيمان الكفر . وقال مجاهد : هم أهل مكة ، أنعم الله تعالى عليهم ببعثه رسولا منهم يعلمهم أمر دينه وشرفهم به ، وأسكنهم حرمه ، وجعلهم قوام بيته ، فوضعوا مكان شكر هذه النعمة كفرا . وسأل ابن عباس عمر عنهم فقال : هما الأعراب من قريش أخوالي أي : بني مخزوم ، واستؤصلوا ببدر . وأعمامك أي : بني أمية ، ومتعوا إلى حين . وعن علي نحو من ذلك . وقال قتادة : هم قادة المشركين يوم بدر . وعن علي : هم قريش الذين تحزبوا يوم بدر . وعلى أنهم قريش جماعة من الصحابة والتابعين . وعن علي أيضا : هم منافقو قريش أنعم عليهم بإظهار علم الإسلام بأن صان دمائهم وأموالهم وذرائعهم ، ثم عادوا إلى الكفر . وعن ابن عباس : في جيلة بن الإيهام ، ولا يريد أنها نزلت فيه ، لأن نزول الآية قبل قصته ، وقصته كانت في خلافة عمر ، وإنما يريد ابن عباس أنها تخص من فعل فعل جيلة إلى يوم القيامة . .

ونعمة الله على حذف مضاف أي : بدلوا شكر نعمة الله كقوله : { وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْزَلََكُمْ تُكَذِّبُونَ } أي شكر رزقكم ، كأنه وجب عليهم الشكر كفوضعوا مكانه كفرا ، وجعلوا مكان شكرهم التكذيب . قال الزمخشري : ووجه آخر وهو أنهم بدلوا نفس النعمة بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة ، وهم أهل مكة أسكنهم الله حرمة ، وجعلهم قوام بيته ، وأكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم) ، فكفروا نعمة الله بدل ما ألزمهم من الشكر العظيم ، أو أصابهم الله بالنعمة والسعة لإيلافهم الرحلتين ، فكفروا نعمته ، فضر بهم الله بالقحط سبع سنين ، فحصل لهم الكفر بدل النعمة ، وبقي الكفر طوقا في أعناقهم انتهى . ونعمة الله هو المفعول الثاني ، لأنه هو الذي يدخل عليه حرف الجر أي : بنعمة الله ، وكفرا هو المفعول الأول كقوله : { فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ } أي بسيئاتهم حسنات . فالمنصوب هو الحاصل ، والمجرور بالباء أو المنصوب على إسقاطها هو الذاهب ، على هذا لسان العرب ، وهو على خلاف ما يفهمه العوام ، وكثير ممن ينتمي إلى العلم . وقد

أوضحنا هذه المسألة في قوله في البقرة : { وَمَنْ يَتَذَكَّرْ لَكَ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ }
وإذا قدرت مضافاً محذوفاً وهو شكر نعمة الله ، فهو الذي دخلت عليه الباء ثم حذفت ، وإذا
لم يقدر مضاف محذوف فالباء دخلت على نعمة ثم حذفت . وأحلوا قومهم أي : من تابعهم على
الكفر . وزعم الحوفي وأبو البقاء أن كُفراً هو مفعول ثانٍ لبدلوا ، وليس بصحيح ، لأن
بدل من أخوات اختار ، فالذي يباشره حرف الجر هو المفعول الثاني ، والذي يصل إليه الفعل
بنفسه لا بواسطة حرف الجر هو المفعول الأول . وأعرب الحوفي وأبو البقاء : جهنم بدلاً من
دار البوار ، والزمخشري عطف بيان ، فعلى هذا يكون الإحلال في الآخرة . ودار البوار جهنم ،
وقاله : ابن زيد . وقيل : عن علي يوم بدر ، وعن عطاء بن يسار : نزلت في قتلى بدر ،
فيكون دار البوار أي : الهلاك في الدنيا كقليب بدر وغيره من المواضع التي قتلوا فيه .
وعلى هذا أعرب ابن عطية وأبو البقاء : جهنم منصوب على الاشتغال أي : يصلون جهنم يصلونها
. ويؤيد هذا التأويل قراءة ابن أبي عبله : جهنم بالرفع على أنه يحتمل أن يكون جهنم
مرفوعاً على أنه خبر مبتدأ محذوف ، وهذا التأويل أولى ، لأنَّ النصب على الاشتغال مرجوح
من حيث أنه لم يتقدم ما يرجحه ، ولا ما يكون مساوياً ، وجمهور القراء على النصب . ولم
يكونوا ليقرؤوا بغير الراجح أو المساوي ، إذ زيد ضربته